آليات تماسك النص في سورة يس (السبك والحبك) نموذجا

دكتورة/ منال بنت راشد الفرير
أستاذ مساعد بكلية الآداب
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

الملخص:

تناول البحثُ السبكَ والحبكَ في سورة يس، ويهدف البحث إلى الوقوف على عناصر السبك والحبك في سورة يس؛ ومن أجل ذلك حدد البحث مفهوم السبك (cohesion)، ودرس أهم عناصر السبك النحوي: الإحالة والحذف، والسبك المعجمي الذي يتضمن: التكرار والتضام. ثم تناول البحث الحبك (coherence) وحدد مفهومه، ووقف على علاقتي الدلالية والتداولية، متناولاً بعض الآليات الهامة التي تحقق التماسك على المستوى الدلالي، وهي: العلاقات، وموضوع الخطاب، والبنية الدلالية الكبرى، وعلى المستوى التداولي تناول آلية السياق.

ولقد توصلت الدراسة معتمدة على المنهج الوصفي التحليلي والإحصائي، إلى عدة نتائج؛ من أهمها: دور عناصر السبك والحبك في تماسك السورة سواء على المستوى الظاهر للنص، أو المستوى الخفي، ونوصي بدراسة تطبيقية لسورة يس تنطلق من بقية المعايير النصية السبعة.

الكلمات المفتاحية: التماسك النصي، السبك، الحبك، سورة يس.

Abstract:

The research addresses the aspects of cohesion and coherence in Surah Yasin, aiming to identify the elements of cohesion and coherence within the Surah. To this end, the study defines the concept of cohesion (cohesion) and examines the main elements of grammatical cohesion: reference, ellipsis, and lexical cohesion, which includes repetition and collocation. It then discusses coherence (coherence) by defining its concept and exploring the semantic and pragmatic relationships, addressing some important mechanisms that achieve cohesion at the semantic level, such as relations, the subject of discourse, and the overarching semantic structure, while also considering context at the pragmatic level.

The study, relying on a descriptive, analytical, and statistical approach, reached several conclusions, the most significant of which are the roles of the elements of cohesion and coherence in the text's cohesion, both at the overt level of the text and the covert level. The study recommends an applied analysis of Surah Yasin that stems from the remaining seven textual criteria.

Keywords: Textual cohesion, cohesion, coherence, Surah Yasin.

المقـــدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبـــد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد:

فإنَّ التماسك النصي ما هو إلا مظهر من المظاهر النصية التي ركز عليهـــا علمـــاء اللسانيات؛ لأنَّه يقوم على روابط لغوية وروابط معنوية تتجاوز الربط بين أجـــزاء الجملـــة الواحدة إلى الربط بين مجموعة من الجمل، فهو ينظر إلى النص نظرة كلية دون الفـــصل بين أجزائه، ليكون بناءً واحدًا عن طريقه يمكن الحكم على النص بالجودة أو الرداءة؛ فهـــو شرط رئيس للتفريق بين النص واللانص. ومن أهم مباحثه "السبك والحبـــك" باعتبارهمـــا مظهران أساسيان من المظاهر النصية السبعة التي يشترط توفرهما فـــي الـــنص، ولعـــل القرآن الكريم من أهم النصوص التي اتسمت بالسبك والحبك فهـــو معجـــزة فـــي ترابطـــه وتماسكه؛ لذا رأيت بأن يكون (آليات تماسك النص في سورة يس "السبك والحبك" نموذجا) موضوع البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إلقاء الضوء على المعيارين النصيين "السبك والحبك" فـــي نـــص قرآني (سورة يس)، وتركز على تماسكه وترابطه عن طريق استخراج آليات هذا التماســـك من خلال عنصري السبك والحبك.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية الموضوع فيما يلي:

١-القرآن الكريم أوضح نصّ تتجلّى فيه مظاهر السبك والحبك؛ لأنَّه نص رباني معجز في لفظه ومعناه ونظمه.

٢-ندرة الدراسات النصية التطبيقية للنصوص القرآنية.

٣-تُعبر سورة (يس) عن عدة قضايا تتعلق بالعقيدة وبناء أسسها هي: الإيمان بـــالله وكتبـــه ورسله، والإيمان بالبعث والجزاء والحساب، وهذه الدراسة تحاول الكشف عن تماســـك هذه القضايا وترابط بعضها ببعض.

٤-عدم وجود دراسة مستقلة تتعلق بالسبك والحبك في سورة (يس) فيما اطلعت عليه.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسات سابقة حسب التحديد العلمي للعنوان، ولكن هنالك دراسات لها صلة بالموضوع. ومنها:

١-علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة على السور المكية، تأليف صبحي إبراهيم الفقي، طبعته دار قباء ٢٠٠٠م، في جزئين، إلا أن سورة يس لم تحط بعنايته.

٢-الإحالة بالضمير في سورة يس: دراسة في التماسك النصي على وفق منهج فان دايك في التحليل النصي، إعداد شفق يوسف جدوع، من جامعة بغداد، مجلة الآداب ٢٠٢٠م، يسلط هذا البحث الضوء على وظيفة الضمير بوصفه أداة من أدوات النسج النصي في سورة يس، دون النظر إلى بقية عناصر السبك، ولم يدرس الحبك.

٣-السبك وأثره في بنية الخطاب القرآني سورة (يس) مثالا، إعداد محمد ياسين عليوي الشكر، من جامعة الكوفة، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية ٢٠٢٠م، وكما هو واضح من العنوان، فالدراسة اقتصرت على تلمّس عناصر السبك في سورة يس، ولم تعن بعناصر الحبك.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الوصفي باعتماد آلية التحليل والإحصاء في دراسة السبك والحبك في النص محل الدراسة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يكون الموضوع في تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وأخيرًا ثبت للمصادر والمراجع.

التمهيد: مفهوم السبك، مفهوم الحبك، والتعريف بسورة يس.

المبحث الأول: السبك ودوره في تماسك النص.

المبحث الثاني: الحبك ودوره في تماسك النص.

ويندرج تحت هذه المباحث جملة من المطالب الفرعية.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم نتائج البحث وتوصياته، وألحقت بالخاتمة ثبتًا للمصادر والمراجع.

التمهيد:

أ- مفهوم السبك (cohesion)*:

هو الترابط الرصفي القائم على النحو في البنية السطحية، بمعنى التشكيل النحوي للجمل وما يتعلق بالإحالة والحذف والربط وغيره[١].

ويتحقق السبك من خلال الترابط الذي يظهر بين عناصر النص والعلاقات التي تحكم أجزاءه، "ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى"[٢].

فالسبك يشمل الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل، واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة[٣].

وعلى ذلك يكون السبك على وجهين: السبك النحوي، ويشمل: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والربط. والسبك المعجمي، ويشتمل على علاقتي: التكرار، والتضام.

ب- مفهوم الحبك (coherence)*:

يتطلب الحبك من الإجراءات ما ينشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي، ويظهر هنا الربط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب[٤].

فالحبك يهتم بالروابط الدلالية "القارة في المستوى العميق للنص"[٥]، مما يعني أن الحبك "متصل بالمعنى وسلسلة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها"[٦].

ويعتمد الحبك على "علاقات داخلية وعناصر مقامية متعالقة يتم بواسطتها فهم النص"[٧]، ومن ذلك يتضح أن الحبك يكون في مستويين: المستوى الدلالي، ويشمل: مبدأ الإشراك،

---

١ ينظر: النص والإجراء والخطاب، ١٠٣-١٠٥.

٢ السابق.

٣ ينظر: السابق، ١٠٣-١٠٤.

* ترجم مصطلحي (cohesion وcoherence) إلى عدة مصطلحات منها: (السبك واللاتحام) عند تمام حسان في: النص والخطاب والإجراء، و(الاتساق والانسجام) عند محمد خطابي في كتابه: لسانيات النص، (التضام والتقارن) عند إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد في: مدخل إلى علم لغة النص، و(السبك والحبك) عند أحمد عفيفي في كتابه: نحو النص، وهذا الأخير هو ما اعتمدت عليه في البحث.

٤ السابق، ١٠٣-١٠٥.

٥ أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ٥٦.

٦ نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، ٩٠.

٧ علم لغة النص والأسلوب بين النظروالتطبيق، ٤٠.

والعلاقات، والخطاب، والبنية الدلالية الكلية، والمستوى التداولي ويشمل: السياق، والمعرفة الداخلية.

ج- **التعريف بسورة يس:**

سورة (يس) من سور القرآن الكريم المكية، وتأخذ الترتيب السادس والثلاثين من المصحف الشريف، عدد آياتها ثلاث وثمانون آية. تضمنت هذه السورة مواضيع أساسية، كالبراهين والأدلة على وحدانية الله، والإيمان بحقيقة البعث والنشور، كما تضمنت الإخبار بقصة أهل القرية، وآيات الله المسخرة للبشر. سميت سورة (يس) بهذا الاسم لأنَّ الله افتتح السورة الكريمة بحرفي الياء والسين، وفي الافتتاح بها إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم[1].

ومن خلال تدبر سورة (يس) والإنعام في أقوال العلماء وكتب التفسير يمكن أن تصاغ المقاصد الكلية للسورة وفقًا لما يلي: (التركيز على قضايا العقيدة الخاصة بتكذيب الرسل والوحي وإنكار البعث، وما يترتب على ذلك في الآخرة) ويتمحور سياق السورة بين هذه المواضيع.

ومتن السورة ينقسم إلى ثلاثة أجزاء إلى جانب المقدمة والخاتمة، وأجزاء السورة هي:

١- المقدمة وتأتي في اثنتي عشرة آية (من ١ حتى آية ١٢)، وتتناول حقائق الإيمان.

٢- حول قضية التكذيب بالرسل (قصة أصحاب القرية)، وتأتي في عشرين آية (من١٣ حتى آية ٣٢)

٣- محاجاة الكفار المصرّين على تكذيب الرسول، وإنكار البعث بآيات الله سبحانه التي سخرها للبشر، وتأتي في خمس عشرة آية (من آية ٣٣ حتى آية ٤٧).

٤- قضية البعث والحساب والجزاء، وتأتي في إحدى وعشرين آية (من آية ٤٨ حتى آية ٦٧)

٥- الخاتمة (من آية ٦٨ حتى آية ٨٣)، وتؤكد على حقائق الإيمان.

وفي هذا البحث سأحاول جاهدة الكشف عن مدى تماسك آيات السورة وأجزائها من خلال بعض أدوات آليات عناصر التماسك النصي.

---

١ ينظر: التفسير الموضوعي لسور القران الكريم، ٢٩٤/٦.

المبحث الأول: السبك ودوره في تماسك النص:

السبك في علم اللغة الحديث يقصد به الربط اللفظي[١]، وهو يشمل الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل، واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة[٢].

وفي هذا المبحث سأتحدث عن نوعيّ السبك ودورهما في تحقيق النص، من خلال مطلبين هما: عناصر السبك النحوي، وعناصر السبك المعجمي.

المطلب الأول: عناصر السبك النحوي:

يشكل السبك النحوي مظهرًا من مظاهر السبك النصي، إذ يتخذ من الوسائل النحوية مادة أولية له، ومن هذه الوسائل التي ستُدرس في هذا البحث هي: الإحالة، والحذف.

- **الإحالة:**

يقصد بها "وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر؛ ولذا تسمى عناصر محيلة، مثل: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة... إلخ"[٣].

وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين، هما[٤]:

١- إحالة داخل النص، وتسمى إحالة نصية.

٢- إحالة خارج النص، وتسمى إحالة مقامية.

والإحالة داخل النص تنقسم إلى:

١- إحالة على السابق أو إحالة بالعودة وتسمى (قبلية)، وهي تعود على مُفسر سبق التلفظ به.

٢- إحالة على اللاحق وتسمى (بعدية)، وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص.

وعناصر الإحالة تتمثل في:

١- الضمائر.

٢- أسماء الإشارة.

---

١ ينظر: نظرية علم النص "رؤية منهجية في بناء النص النثري"، ٧٨.

٢ ينظر: النص والخطاب والإجراء، ١٠٣-١٠٤.

٣، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ١٦-١٧.

٤ ينظر: لسانيات النص، ١٧-١٨.

٣- الأسماء الموصولة.

- **التحليل النصي لسورة يس من خلال الإحالة:**

غلبت على هذه السورة الإحالة النصية وبالأخص منها العائدة على سابق، وبما أنَّ السورة تتكون من مقدمة وخاتمة وثلاثة أجزاء فمن الضروري معرفة إذ كان هناك عناصر إحالية ساهمت في ترابط وتماسك كل هذه الأجزاء، ومن ثَمَّ البحث عن كيفية إسهام الإحالة في تماسك أجزاء السورة؟

وفي هذه السورة وردت الضمائر المحيلة ما يقارب (١٨٩) مرة؛ لذا سأقصر الدراسة في هذا البحث على الضمائر؛ لكثرة ورودها على مستوى السورة كاملة.

ويتبين حشد السورة بالضمائر التي تحيل في الغالب إلى سابق، وهذا الوجود المكثف للإحالات الضميرية له دلالاته ووظيفته في تحقيق التماسك النصي على مستوى البنية الكلية والجزئية للسورة.

ابتدأت السورة بقسم بالقرآن الكريم الذي هو منزّل من عند الله، وقد صرح الله باسم من أسمائه (العزيز الرحيم) في الآية الثالثة، ثم جاءت الإحالة عليه في الآية :(٨، ٩، ١٢).

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الله (العزيز الرحيم)	إنّا، جعلنا أغشيناهم إنّا، أحصيناه، نحن	إحالة داخلية على سابق	٨ ٩ ١٢

أما العنصر الثاني المحال إليه فهو (محمد ﷺ)، والمحال إليه (إنك) تحيل إلى محمد ﷺ، حيث إنَّ الخطاب موجه له (بالانفتاح على مناسبة السورة).

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
محمد ﷺ	إنك ءأنذرتهم تنذر (أنت)	إحالة خارجية	٢ ١٠ ٦، ١١

أما ثالث العناصر المشار إليها فهو (الكافرون المكذبون)، حيث أشار في المقدمة إلى المكذبين بدعوة محمد ﷺ، بلفظ (قوم) الذي ورد بشكل صريح في الآية السادسة، وهو

عامل عمل في تسعة عناصر إحالية، ولهذا كانت الإحالة إحالة داخلية على لفظ سبق ذكره.

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الكافرون المكذبون (قوم)	آباؤهم، فهم أكثرهم، فهم أعناقهم، فهم أيديهم، خلفهم، أغشيناهم	إحالة داخلية على سابق	٦ ٧ ٨ ٩

ويُخلص إلى أنَّ الإحالة في مقدمة السورة جلّت المواضيع الأساس لسورة (يس) بكثرة العودة إلى المحال إليه: (الله، ورسول الله محمد ﷺ، والقوم المكذبين)، وأسهمت في التماسك النصي بين الآيات، وأكدت على أنَّ محمدًا ﷺ رسول من الله، وأوضحت عقيدةَ المكذبين بالرسل. وهذا التماسك المتحقق في فاتحة السورة يقود إلى التساؤل عن مدى استمرار هذا الانتظام الإحالي النحوي من خلال الضمائر، وهو الانتظام الذي يحقق التماسك على مستوى المعاني في باقي أجزاء السورة.

ومن خلال الإحصاء تبيّن أنَّ الإحالات التي تعود إلى (الله) الذي لم يرد صراحة؛ إنّما عبر عنه في الآية الثانية بلفظ لغوي يدل عليه وهو اسم من أسمائه (العزيز الرحيم) قد استمر وجودها في باقي أجزاء السورة وبدرجة كبيرة، هذا باستثناء لفظ الجلالة الصريح في الآية (٤٧، ٧٤)، والجدول الإحصائي الآتي يبيّن انتشار بعض الإحالات الضميرية (المتصلة) التي تحيل إلى الله في أجزاء السورة باستثناء المقدمة.

المحال	المحال إليه	نوع الإحالة	رقم الآية
الله (**العزيز الرحيم**)	إنا، أرسلنا، فعززنا،	إحالة داخلية على سابق	١٤
	يعلم (هو)		١٦
	إليه		٢٢
	دونه		٢٣
	أنزلنا، كنا،		٢٨
	أهلكنا		٣١
	لدينا		٣٢
	أحييناها، أخرجنا		٣٣
	خلقنا		٤١
	نغرق (نحن)		٤٣
الله (**العزيز الرحيم**)	منّا	إحالة داخلية على سابق	٤٤
	لدينا		٥٣
	اعبدوني		٦١
	تكلمنا		٦٥
	لطمسنا		٦٦
	علمناه		٦٩
	أنا، خلقنا، أيدينا،		٧١
	ذللناها		٧٢
	إنا، نعلم (نحن)		٧٦
	أنا، خلقناه		٧٧
	لنا		٧٨
	جعل (هو)		٨٠
	خلق، يخلق (هو)		٨١
	أمره، يقول (هو)		٨٢
	بيده، إليه		٨٣

وثاني العناصر المحال إليها لفظ (محمد) ﷺ لم يرد صراحة في مقدمة السورة، إنما أشير إلى محال إليه موجود خارج النص ساعد المقام على تحديده (سبب النزول أو العرف العام)، فيظهر كما في الجدول:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
محمد ﷺ	اضرب (أنت)	إحالة خارجية	١٣
	علمناهـ، له		٦٩
	يحزنك		٧٦

والعنصر الثالث المحال إليه (الكافرون المكذبون) بالرسل وما يدعون إليه، وبآيات الله الكونية، وبالبعث والحساب والجزاء، فقد ورد ذكرهم في مقدمة السورة في الآية (٦) إلى الآية (٦٨)، ولأنَّ سورة (يس) مكية، والسور المكية تركز على قضايا العقيدة وبناء أسسها: الإيمان والكفر، وتتضمن عرض قصص الأمم السابقة؛ جاء هذا الانتشار الواسع للإحالة على المكذبين.

ومما هو ملاحظ على الانتشار الواسع للإحالة تحقق التماسك بين أجزاء السورة على اختلاف مواضيعها، حيث تجعل من نص السورة نصًا موحدًا مرتبط أوله بآخره، فكانت السورة وحدة نصية كلية متماسكة ومتناسقة الأطراف.

ومن خلال الجدول الإحصائي التالي سيتضح مدى انتشار الإحالة العائدة على محال إليه واحد هو (الكافرون المكذبون):

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
	لهم		
	يأتيهم، كانوا		١٣
	يروا، قبلهم، أنهم		٣٠
	يأكلوا، أيديهم		٣١
	لهم		٣٥
	لهم، ذريتهم		٣٧
	يركبون		٤١
	نغرقهم، لهم، هم		٤٢
	لهم، اتقوا، أيديكم، خلقكم، لعلكم		٤٣
	تأتيهم، ربهم، كانوا		٤٥
	لهم، أنفقوا، رزقكم، كفروا		٤٦
	تأخذهم، هم		٤٧
	أهلهم		٤٩
	هم، ربهم		٥٠
	قالوا، يا ويلنا، مرقدنا		٥١
	هم		٥٢
الكـــــافرون المكذبون	إليكم، تعبدوا، لكم	إحالة داخليـــة علـــى سابق	٥٣
	منكم، تكونوا		٦٠
	كنتم		٦٢
	اصلوها، كنتم		٦٣
	أفواههم، أيديهم، أرجلهـــم،		٦٤
	يكسبون، كانوا		٦٥
	أعينهم، فاستبقوا		٦٦
	مـــــسخناهم، مكـــــانتهم،		٦٧
	استطاعوا		٦٨
	نعمره، ننكسه		٧١
	يروا، لهم، فهم (١٨٣٠)		٧٢
	لهم، ركوبهم		٧٣
	لهم		٧٤

يوحي انتشار الضمائر التي تحيل إلى مرجع واحد بحقيقة مهمة تتمثل في وظيفة الضمائر في تحقيق التماسك النصي بين آيات السور كلها، وأيضًا يؤكد الاستمرارية القائمة من الآية الأولى حتى الآية الأخيرة، وأنَّ الأجزاء ليست مستقلة بعضها عن بعض.

أما اتساق كل جزء من أجزاء هذه السورة بعضه ببعض عن طريق الإحالة بالضمائر، فيمكن توضيحه كل على حدة:

١- **تكذيب أصحاب القرية بالرسل (من الآية ١٣ إلى ٣٢):**

في هذا الجزء من السورة شبه حال المشركين في مكة التي ورد ذكرهم في مقدمة السورة في الآية السادسة بحال أصحاب القرية الممثل بهم، ثم كان جزاء المعرضين من أهلها الذين كذبوا الرسل وكذبوا الرجل الصالح، ثم ضرب المثل بالأعم وهم القرون الذين كذبوا فأهلكوا. والعناصر الرئيسة للقصة تتمحور حول: (الرسل، والمكذبين، والرجل المؤمن).

وسيوضح من خلال الجدول التالي: المحال إليه، والإحالة، ونوعها، وموضع ورودها:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الرسل **(المرسلون إلى أصحاب القرية)**	فكذبوهما، فقالوا، إنا أنتم إنا علينا بكم، تنتهوا أنتم	إحالة داخلية على سابق	١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩
الرجل المؤمن	يسعى (هو) ما لي، أعبد (أنا) عنيّ، ءأتخذُ (أنا) إني قومي لي، جعلني	إحالة داخلية على سابق	٢٠ ٢٢ ٢٣ ٢٤، ٢٥ ٢٦ ٢٧

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
	قومه		٢٨
الكافرون المكذبون **(أصحاب القرية)**	إليهم، فكذبوا، إليكم قالوا، مثلنا إليكم قالوا، إنا، تطيرنا، نرجمنكم، يمسنكم اتبعوا، يسألوكم بربكم هم	إحالة داخلية على سابق	١٤ ١٥ ١٦ ١٨ ٢١ ٢٥ ٢٩

مما هو ملاحظ على هذه الإحالات في الوحدة السابقة (تكذيب أصحاب القرية بالرسل) أنَّها ساهمت في تماسك هذا الجزء والربط بين آياته؛ فالإحالة كانت دائمًا لمذكور في السورة، مما ساهم في سيرورة تتابع الأحداث.

إذن فالضمائر قامت بوظيفة هامة جدًّا في تماسك القصة السابقة نتج عنها تسلسل أحداث القصة، وتعالق أجزائها فصارت كتلة واحدة محكمة، تدفع المتلقي لمتابعة أحداث القصة.

٢- الآيات المسخرة للبشر (من الآية ٣٣ إلى ٤٧):

تقوم هذه الوحدة على إقامة أدلة عقلية تحاجّ بها المكذبون بالرسول والمنكرون للبعث، وهذه الأدلة منبعثة من آيات الله التي سخرها للبشر، وورد في هذا الجزء ثلاث آيات، هي: آية إحياء الأرض الميتة، وآيات الله الكونية: (الليل، والنهار، الشمس، والقمر)، وآية الفلك

المشحون. ثم يأتي ختام هذا الجزء المتمثل في إصرار الكفار على تكذيب الرسول وإنكار آيات الله المعجزة وتكذيبها.

فجاءت الإحالة عائدة على: (المكذبين والمنكرين بآيات الله- سبق ذكرهم-، وعلى الآيات التي ساقها الله ﷻ لإثبات وحدانيته ولإثبات البعث)، ومن خلال الجدول التالي ستتضح أكثر.

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الأرض الميتة	أحييناها، منها فيها، فيها ثمره	إحالة داخلية على سابق	٣٣ ٣٤ ٣٥
الليل	منه		٣٧
الشمس	تجري (هي)، لها تدرك (هي)		٣٨، ٤٠ ٤٠
القمر	قدرناه، عاد (هو)		٣٩
الفلك المشحون	مثله		٤٦

فهذه الإحالات المنتشرة داخل هذا الجزء كان لها عامل الربط بين أجزاء الآية الواحدة، وبين آيات العنصر الواحد، بينما عملت الإحالة العائدة على المكذبين على ربط أجزاء الآية الواحدة بعضها ببعض، وربط آيات العنصر الواحد فيما بينها، وربط عناصر الوحدة مع بعضها البعض، وأخيرًا ربط هذا الجزء بمقدمة السورة، مما أنتج نصًا متماسكًا يتسم بالاستمرارية.

وتحقق التماسك على مستوى البنية عن طريق الضمائر العائدة على مذكورات سابقة (الأرض الميتة، الليل، الشمس، القمر، الفلك المشحون)، فمن خلال توارد الضمائر المحيلة إلى كل عنصر لوحظ أنَّه لا يوجد أي لبس أو إبهام في معرفة المرجعيات التي تعود إليها الضمائر؛ وهذا مما جعل البنية متراصة متينة بمركباتها التركيبية والدلالية واضحة المعاني والمقاصد.

٣- البعث والحساب والجزاء (تبدأ من آية ٤٨ إلى آية ٦٨):

يدور الجزء الثالث من متن السورة حول قضية البعث والحساب والجزاء، وتأتي في إحدى وعشرين آية، من آية (٤٨ حتى آية ٦٨) تتحدث عن: الكفر بالبعث، وعن الجنة جزاء المؤمنين، وعن جزاء المجرمين الذين عبدوا الشيطان واتبعوه، وأخيرًا عن مشاهد حساب الكافرين.

وفي هذا المقطع ورد ضمير الإحالة العائد على الكافرين المكذبين بالعبث والحساب والجزاء ٢٨ مرة- كما تبين سابقًا-، وذلك لأنَّهم مدار الحديث، وهذه الإحالات العائدة على سابق ورد في مقدمة السورة أنتجت نسيجًا متماسكًا؛ إذ ربطت مقدمة السورة بمتنها، بينما جاءت الإحالة العائدة على المؤمنين المصدقين في خمسة مواضع، كما هو مبيّن في الجدول الآتي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
أصحاب الجنة	هم، أزواجهم لهم، لهم، يدعون	إحالة داخلية على سابق	٥٦ ٥٧
جنة	فيها		٥٧

فهذه الإحالات أسهمت في ترابط العنصر داخل الوحدة، مما جعله في اتساق نصي مستقل عن بقية عن العناصر الأخرى، بينما الإحالات العائدة على عناصر أخرى من السورة ساهمت في تماسك أجزاء السورة بعضها ببعض.

الخاتمة: (تبدأ من آية ٦٩ إلى آية ٨٣)

تبدأ الخاتمة بتوجيه الحديث لرسولنا الكريم -أو الحديث عنه- لتستخلص أمة محمد ﷺ (أمة الإسلام) العبرة من القرآن الكريم سواء كان قصصًا للأقوام السابقة، أو تشريعًا لأمة.

وخاتمة سورة (يس) ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمقصد الكلي للسورة، وترتبط بالتالي بمقدمتها ومتنها، وتأتي في خمس عشرة من آية (٦٩ حتى آية ٨٣)، وتناولت موضوعات قصيرة هي:

تكليف الرسول ﷺ بالرسالة وإنزال القرآن عليه، وخلق الأنعام وتسخيرها للبشر، وعاقبة الشرك بالله، وللتسرية عن الرسول ﷺ، وقدرة الله الخالق على أن يبعث خلقه، وقدرته المطلقة في جميع خلقه.

والخاتمة ابتدأت بتأكيد تكليف محمد ﷺ بالرسالة، كما ابتدأت بذلك مقدمة السورة إذ جاءت الآية الثالثة مؤكدة على رسالته ﷺ، فالإحالة عائدة على سابق ذُكر في مقدمة السورة (إنك: أي يا محمد) وهي بذلك في تماسك وتلاحم مع الوحدة الكلية للسورة.

أما في (خلق الأنعام وتسخيرها للبشر) فجاءت الإحالة عائدة على سابق ذُكر في مقدمة السورة، ومن ثَمَّ في بقية الأجزاء، وهي: (الله ﷻ، والمكذبون) -سبق الحديث عنهما-، أما بقية الإحالات فهي مبيّنة كالآتي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الأنعام	لها ذللناها، فمنها، منها فيها	إحالة داخلية على سابق	٧١ ٧٢ ٧٣

وفي (قدرة الله ﷻ على البعث وقدرته المطلقة في الكون) عادت الإحالة إلى سابق، وهي كما في الجدول الآتي:

المحال إليه	الإحالة	نوعها	رقم الآية
الإنسان	خلقناه نسي (هو)، خلقه أنتم	إحالة داخلية على سابق	٧٧ ٧٨ ٨٠
العظام	يحييها، أنشأها	إحالة داخلية على سابق	٧٩

نستشف مما سبق أنَّ الضمائر قامت بوظيفة هامة في تحقيق التماسك النصي الجزئي والكلي في سورة (يس)، وظهر أن أكثر الإحالات حضورا في السورة هي: الإحالات الضميرية العائدة على سابق التي تحيل إلى (الله، وإلى المكذبين بحقائق الإيمان).

ب- الحـــذف:

يندرج الحذف ضمن عناصر السبك النحوي وترد أهميته بعد الإحالة، وإن كان أكثر وقوعا في اللغة؛ حيث تحذف بعض عناصر الكلام اعتمادا على فهم المتلقي تارة، ووضوح قرائن السياق تارة أخرى[1]، فهو" علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية"[2].

وينقسم الحذف إلى ثلاثة أنواع، هي: حذف الاسم، وحذف الفعل، وحذف الجملة[3].

- **التحليل النصي لسورة يس من خلال ظاهرة الحذف:**

تحوي سورة يس كثيرًا من المواضع التي فيها حذف، لا سيما وأن السورة تحوي قصةَ (أصحاب القرية)، وتحوي جملًا حوارية عدة،والتي يمكن أن يحذف فيهما بعضا من الألفاظ والجمل التي قد يُستغنى عنها مع وجود دليل عليها، وفي هذا البحث سيُدرس حذف الاسم وحذف الفعل، وسيُبيّن موقع الحذف والدليل عليه، ونوعه أهو سابق أم لاحق، ونوع التماسك الذي حققه هذا الحذف بين أجزاء الآية الواحدة، أو بين أكثر من آية.

١- حذف الاسم:

كثُر حذف الاسم في هذه السورة، وبشكل منتشر بين أجزائها، حيث وقع فيما يقارب (٨) مواضع، وهذا الحذف ظاهر في قوله تعالى:

- ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ ٩، المراد أغشينا أبصارهم، ففي الكلام حذف مضاف دل عليه السياق، وأكده التفريع بقوله: ﴿فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[4].

- ﴿لئن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ ١٨، أي: عن مقالتكم[5].

---

١ ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ١٤٤-١٤٦.

٢ الاتساق في الإنجليزية، هاليداي ورقية حسن، ١٤٤، نقلا عن: لسانيات النص، ٢١.

٣ ينظر: السابق، ١٤٥، نقلا عن: لسانيات النص، ٢٢.

٤ ينظر: تفسير التحرير والتنوير، ٢٢/ ٢٠٠.

٥ ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ١١/ ٧٨٩.

– ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ﴾ ٣٤، أي: من ماء العيون[١].

– ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ ٣٧، فقد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه؛ لأن المسلوخ منه ضوء النهار، وليس النهار نفسه، أي: ضوء النهار[٢].

– ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾٤١، خُرِّج قوله: ذرياتهم على حذف مضاف، والتقدير: ذريات جنسهم[٣].

– ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥٢، حذف المنادى وتقديره: "يا هلاكنا أحضر فهذا أوانك، وقيل أي: يا قومنا انظروا ويلنا وتعجبوا منه، وعلى هذا حذف المنادى"[٤]، وفي هذه الآية حذف مفعول الفعل (وعد)، وتقدير: وعدناه، وحذف مفعول الفعل (صدق) وتقديره: صدقناه[٥].

– ﴿فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٥٤، فالآية فيها مضاف محذوف، وأقيم المضاف إليه مقامه، والتقدير: إلا جزاء ما كنتم تعملون[٦].

– ﴿سَلامٌ قَوْلا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ٥٨، فقد جُوز أن يكون (سلام) مبتدأ خبره محذوف، تقديره عند بعضهم: سلام عليكم[٧].

من خلال الجدول التالي سيُبيّن المحذوف الجملي ودليله، ونوع الدليل أهو سابق أم لاحق، ونوع التماسك الذي حققه:

١ ينظر: البحر المحيط، ٣٢٠/٧.

٢ ينظر: روح المعاني. ١٣/١٢.

٣ ينظر: السابق، ٣٦/١٢.

٤ ينظر: السابق، ١٢/ ٤٣.

٥ ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤٩٣/٤.

٦ ينظر: روح المعاني، ١٢/ ٤٦

٧ ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٩/ ٢٧٩.

الآية	المحذوف	الدليل	سابق/لاحق	نوع التماسك الذي تحقق
٩	فأغشينا (أبصارهم)	لا يبصرون	لاحق	حقق تماسكا بين
١٨	تنتهوا (عن مقالتكم)	(قالوا) إنا إليكم	سابق	عناصر الآية الواحدة
٣٤	وفجرنا فيها من (ماء)	مرسلون	سابق	حقق تماسكا بين أكثر
٣٧	العيون	فجرنا	–	من آية
٤١	نسلخ منه (ضوء)	السياق	–	حقق تماسكا بين
٤٥	النهار	السياق	–	عناصر الآية الواحدة
	أنا حملنا ذرياتهم	السياق	–	حقق تماسكا بين
	(جنسهم)	السياق	–	عناصر الآية الواحدة
٥٨	يا (هلاكنا) ويلنا	السياق	سابق	حقق تماسكا بين
	هذا ما وعد(ناه)	تجزون		عناصر الآية الواحدة
	الرحمن وصدق(ناه)		–	حقق تماسكا بين
	ولا تجزون (إلا	السياق		عناصر الآية الواحدة
	جزاء) ما كنتم تعملون			حقق تماسكا بين
	سلام (عليكم)			عناصر الآية الواحدة
				حقق تماسكا بين
				عناصر الآية الواحدة
				حقق تماسكا بين
				عناصر الآية الواحدة
				حقق تماسكا بين
				عناصر الآية الواحدة

يُلحظ أن الحذف حقق تماسكًا وترابطًا بين عناصر الآية الواحدة في الآيات السابقة، وحقق الترابط بين أكثر من آية وذلك في الآية (١٨).

وجاء الدليل على الحذف مذكورا في الآيات: (٩، ١٨، ٥٤)؛ ولأن الدليل مذكور؛ جاء المحذوف من لفظ المذكور ومعناه مما جعل التماسك واضحا في الآيات، بالإضافة إلى أن تقدير المحذوف من قبل المتلقي، وإعمال الفكر في تقديره، وبيان مرجعيته أدى إلى التماسك النصي الذي يتحقق من خلال: التكرار، وذلك بتقدير المحذوف، ومن ثم المرجعية بين العنصر المحذوف وبين العنصر المذكور (أي بين جملتين)، في الإحالة القبلية.

٢- حذف الفعل:

أما حذف الفعل فقد جاء تقريبا في (٣) مواضع، وهي قوله تعالى:

﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾٥، الفعل المحذوف تقديره: نزل تنزيل.

وقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾٥٨، (قولا) مفعول مطلق لفعل المحذوف تقديره: يقال سلام.

وقوله: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٥٩، الفعل المحذوف تقديره: ويقال امتازوا.

من خلال الجدول التالي سيُبيّن المحذوف الفعلي ودليله، ونوع الدليل أهو سابق أم لاحق، ونوع التماسك الذي حققه الحذف الفعلي:

الآية	المحذوف	الدليل	سابق/لاحق	نوع التماسك الذي تحقق
٥	(نزل) تنزيل العزيز الرحيم	تنزيل	لاحق	حقق تماسكا بين آية واحدة
٥٨	(يقال)سَلامٌ قَوْلا من رَّبٍّ رَّحِيم	قولاً	لاحق	حقق تماسكا بين آية واحدة
٥٩	و(يقال) امتازوا	قولاً (آية ٥٨)	سابق	حقق تماسكا بين آيتين متتابعتين

وهذا الحذف حقق تماسكًا نصيًا على مستوى الآية الواحدة، وعلى مستوى آيتين متتابعتين، حيث إن المتلقي يُقدر هذا الحذف من خلال ربطه جملةً بأخرى، أو من خلال ربطه الآية بالآية التي قبلها.

من خلال دراسة الحذف في سورة (يس) تبيّن أن الحذف في الاسم هو أكثر شيوعا في السورة من الفعل، فحذف الفعل في السورة لم يقع إلا قليلا.

والحذف الواقع في السورة جاء متراوحا بين ما دلّ عليه ملفوظ في الآية، أو دلّ عليه السياق، ويستنبط هذا الحذف من خلال الكلمات أو الجمل في السورة، ويسهم المتلقي في تقدير المحذوف عندما يستنتج المحذوف بواسطة سابق على الحذف أو بواسطة السياق قصد إبراز تماسك النص وترابطه، وتقدير المتلقي للمحذوف وبيان مرجعيته يؤدي إلى التماسك النصي.

المطلب الثاني: عناصر السبك المعجمي:

يعد السبك المعجمي من أبرز عناصر التماسك؛ لأنَّه يربط بين جمل النص دون وصل أو إحالة، ويحقق ذلك الربط بواسطة العلاقات المعجمية المتميزة والقائمة بين مفردات النص وكذلك الوحدات اللغوية المكونة له، وتتجسد تلك العلاقات داخل النص عن طريق عنصرين مهمين هما: التكرار والتضام[١].

١ – التكرار:

التكرار "إعادة عنصر معجمي، أو إيراد مرادف له، أو عنصرًا مطلقًا أو اسمًا عامًا"[٢]. وهو "إعادة أو استرجاع الألفاظ أو الجمل أو الفقرات، ويتم ذلك باستحضار اللفظ نفسه، أو مرادف له، بهدف تحقيق التماسك النصي بين أجزاء الجملة الواحدة"[٣].

ويهدف التكرار إلى تحقيق العلاقات المتبادلة بين العناصر، التي تؤدي إلى تشكل التماسك النصي.

والتكرار ينقسم إلى نوعين: تكرار الألفاظ، أو تكرار القصص[٤].

والنوع الأول يظهر بكثرة داخل السورة، ومن خلاله يظهر السبك النصي بين أجزاء النص ووحداته، أما النوع الثاني فإنَّه لا يحقق الاتساق بين أجزاء السورة، كونه يحصل على مستوى السور المختلفة.

– **التحليل النصي للتكرار في سورة يس:**

تعد ظاهرة التكرار في القرآن الكريم ظاهرة لافتة، استعمل جريًا على عادة العرب في كلامهم، يقول الزركشي: "وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنًا أنَّه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها لا سيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أنَّ عادة العرب

١ ينظر: إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم "معلقة طرفة بن العبد أنموذجًا"، (مجلة الأثر)، صالح حوحو، ع٢٣، ديسمبر ٢٠١٥م، ص٢١٥.

٢ ينظر: لسانيات النص، ٢٤.

٣ علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق "دراسة تطبيقية على السور المكية"، ٢٠/٢.

٤ ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢٢.

في خطاباتها إذا أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيدًا، وكأنَّها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء، وإنما نزل القرآن بلسانهم"[1].

ومن خلال الجدول التالي سيتضح عنصر التكرار في السورة، وعدد مرات تكراره، وموضع التكرار:

العنصر المكرر	عدد مرات التكرار	رقم الآية
لفظ (الله)	٣	٤٧، ٧٤
لفظ (رب)	٣	١٧، ٢٦، ٢٧
مادة (رسل)	٧	١، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠، ٥٢
مادة (نذر)	٥	٦، ١٠، ٧٠
مادة (قول)	١٥	٧، ١٤، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٦، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٧٨
لفظ (مبين)	٧	١٢، ١٧، ٢٤، ٤٧، ٦٠، ٦٩، ٧٠
لفظ (خلق)	١٠	٣٦، ٤٢، ٦٨، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٧٩
لفظ (قوم)	٥	٦، ١٩، ٢٠، ٢٦، ٢٨

حوت سورة (يس) تكرارت منحت النص حيوية، وساهمت في بنائه وتماسكه، وأكدت الغرض الرئيس من السورة، والموضوعات الرئيسة لسورة (يس) هي موضوعات السور المكية التي تجعل هدفها الأول هو بناء أسس العقيدة، من إثبات ألوهية الله وربوبيته؛ لذلك كُرر ما يشير إلى الله ﷻ سواء أكان لفظ الجلالة (الله) الصريح، أم المشتق من (رب)، أم الضمير العائد على لفظ الجلالة –الذي سبق ذكره في فصل الإحالة–، إذ إنَّ الإحالة تعد من أنواع التكرار؛ لكون الضمائر تحل محل الأسماء.

فلفظ الجلالة تكرر في السورة ثلاث مرات في آيتين، الآية الأولى هي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾٤٧، وفي قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً**

[1] البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، ٣/٣.

لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾٧٤، فلفظ الجلالة (الله) الأولى جاءت لتذكر الكافرين بأنَّ ما بين أيديهم من نعم فمرجعها إلى الله ﷻ، فلا يحق لهم المنع والمن، ولفظ الجلالة (الله) في الجملة الخبرية ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً**﴾ المقصود منها الإخبار باتخاذهم آلهة من دون الله، والتعجب من عبادتهم لغير الله ﷻ، وجاء اسم الله ظاهرًا في مقام إضمار لمَ يُشعر به اسم العلم من عظمة الإلهية؛ إيماءً إلى أنَّ اتخاذهم آلهة دونه جراءة عظيمة[1].

وكذلك تكرر اسم الجلالة بلفظة (رب) في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ**﴾١٦، وقوله: ﴿**إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ**﴾٢٥، وقوله: ﴿**بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾٢٧، الملاحظ في لفظة (رب) المكررة أنَّها جاءت لتأكيد ربوبية الله، ويلحظ أنَّ لفظة (رب) الأولى أضيفت إلى الرسل[2]، والثانية أضيفت إلى أصحاب القرية، والثالثة أضيفت للرجل الصالح؛ وذلك من أجل التأكيد على أنَّ الله ﷻ رب كل شيء ومليكه.

ولأنَّ القضية الأساس للسورة تدور حول إثبات وحدانية الله؛ تكرر لفظ الجلالة وانتشر في السورة – سواء كان هذا التكرار مصرحًا به (الله)، أو معبرًا عنه بلفظ (رب)، أو محالًا إليه عن طريق الضمائر التي سبق ذكرها في مبحث الإحالة، ووظف هذا التكرار كتقنية فنية لانسياب المعاني وتدفقها، وأكد وحدة الموضوع من خلال هذا التكرار؛ مما نتج عن ذلك اتساق الآيات التي تدور حول وحدانية الله وإسناد الأمور إليه، وهذا التكرار المنتشر من بداية السورة إلى نهايتها أسهم في ترابط وتماسك الآيات المنفردة، وفي تماسك وترابط أجزاء السورة فيما بينها.

ومن التكرار في سورة يس لفظ (رسل) المتعلق بالرسالة وإرسال الرسل الذي يعد أيضًا محورًا رئيسًا في السورة، فقد كررت لفظة (مرسلون) ست مرات في ست آيات، وجاءت في أول السورة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾٣، وهذا تأكيد من عند الله على صدق رسالة محمد ﷺ، ثم جاء تكرار (المرسلين) في قصة أصحاب القرية المكذبين؛ لأنَّ السبب من إيراد قصة أصحاب القرية هو تشبيه حال كفار قريش المكذبين برسالة محمد ﷺ بأصحاب القرية المكذبين بالرسل: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم**

---

١ ينظر: التحرير والتنوير، ٢٧٤/٢٢.

٢ ينظر: روح المعاني، ٧٩٦/١١.

مُّرْسَلُونَ﴾ ١٣-١٤. وقوله: ﴿**قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾**١٦، وقوله: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾**٢٠، وأخيرًا تكرر في مقطع البعث والجزاء والحساب وهو قوله: ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾**٥٢، ولفظة (أرسلنا) وردت في السورة مرة واحدة، بالإضافة إلى ذلك ما كرر عن طريق الإحالة وقد ذُكر سابقًا.

وهذا التكرار المتفرق بين ثنايا السورة أحدث تماسكًا وترابطًا بين الآيات، وبين أجزاء السورة كاملة، فغدت السورة نصًا واحدًا متماسكًا، بالإضافة إلى ما أحدثه تكرار لفظة (المرسلون) للتأكيد على الرسل المرسلين من عند الله، وإحقاق صدق رسالتهم.

ومن ثَمَّ نلاحظ تكرارًا يكاد أن يقتصر على مقدمة السورة وهو لفظ (نذر)، إذ تكرر خمس مرات في مقدمة السورة من الآية ٦ إلى آية ١١، ظهر التكرار داخل الآية الواحدة في قوله: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾**٦، وفي قوله: ﴿**وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾**١٠، فـ(نذر) جاءت مرة مثبتة ومرة منفية، وقد أنتج تكرار المتضادات تماسكًا بين الآية الواحدة، ثم تكرر اللفظ مرة واحدة في خاتمة السورة وذلك في قوله: ﴿**لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾**٧٠، ونلمح من تكرار (نذر) المضافة إلى الرسول ﷺ ما يدل على رسالته التي كذب بها قومه، فهو أرسل مبشرًا ونذيرًا. والتكرار الحاصل بين مقدمة السورة ونهايتها أحدث تماسكًا وترابطاً في السورة كاملة، حيث التحمت مقدمة السورة بآخرها نتيجة هذا التكرار الذي جعل السورة وحدة متماسكة.

يظهر في السورة تكرار لفظ (القول) الذي يعد من أهم وسائل التحاور في القصة، حيث تكرر في السورة بشكل واسع، وبعدة صيغ منها: قول، قالوا، قل، قيل، يقول. ففي مقدمة السورة جاء قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾**٧، ثم جاء تكرار القول في قصة أصحاب القرية التي تقوم على التحاور بين المكذبين والرسل، وكان هذا الحوار بألفاظه المتكررة أحد أسباب سبك القصة وتماسكها، لأنَّ طبيعة الحوار تقتضي القول والرد عليه؛ لذا كرر لفظ القول (قالوا) في هذه قصة ست مرات من الآية ١٤ إلى آية ١٩، قال تعالى: ﴿**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾**١٤-١٦، ثم عاد التكرار في

قوله ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لئن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴿١٨﴾ **قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ** ... ﴾١٨-١٩، فيظهر الترابط والتماسك من خلال هذا التكرار وإن جاءت آية فاصلة بينها، ثم تكرر هذا اللفظ في آخر السورة في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا**﴾٥٢، فالتكرار يفيد استمرارية المعنى وبالتالي يحقق التماسك النصي.

وجاء لفظ (قال) العائد ضميرها على الرجل الصالح في الآية التالية: ﴿**وجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾٢٠، وتكرر اللفظ في قوله: ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾٢٦، وتكرر هذا اللفظ أيضًا في قوله ﴿**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ أَطْعَمَهُ**﴾٤٧، ثم عاد هذا التكرار في قوله ﴿**قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ**﴾٧٨.

وكرر لفظ (قيل) ثلاث مرات في آيات غير متصلة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾٢٦، وفي قوله ﴿**وإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾٤٥، ويتكرر اللفظ في قوله: ﴿**وإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾٤٧.

ومن صياغة القول التي وردت مرة واحدة في السورة هي (يقولون)، وذلك في قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾٤٨، وأيضًا (يقول) جاءت مرة واحدة، في قوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾٨٢. فالتكرار الممتد على طول سورة (يس) للقول بصيغه المتعددة يجذب انتباه المتلقي؛ مما يدفعه إلى تدبر الآيات المترابطة جراء هذا التكرار.

وتطالعنا في الآية الأخيرة من المقدمة لفظة (مبين) التي تكرر حضورها في السورة سبع مرات في آيات متفرقة ممتدة على طول السورة مع اختلاف معناها في كل آية، إذ جاءت أولًا في الآية الأخيرة من مقدمة السورة، وهو قوله تعالى:﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾١٢، ثم تكرر اللفظ في قصة أصحاب القرية عندما كذبوا بالمرسلين فما كان جواب الرسل إلا أن قالوا: ﴿**وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾١٧، ثم يذكر اللفظ مرة أخرى في قوله: ﴿**إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾٢٤، وقوله: ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ ٤٧، وقوله: ﴿**أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾٦٠، وقوله: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ**

مُبِينٌ﴾٦٩، وقوله: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾٧٠، إنَّ هذا التكرار اللفظي للفظ (مبين) في ختام الآيات يحدث تماسكاً على مستوى آيات السورة.

وكرر في السورة لفظ (خلق) عشر مرات في آيات مختلفة وموضوعات متفرقة، فالآيات التي تتحدث عن تسخير الله ﷻ آياته للبشر فقد كرر فيها لفظ (خلق) مرتين في قوله: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ**﴾٣٦، وقوله: ﴿**خَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ**﴾٤٢، فالتكرار أفاد أنَّ الله ﷻ هو الخالق الممتن على خلقه، وكرر مرتين في آيات البعث والحساب والجزاء، يقول تعالى: ﴿**مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ**﴾٦٨، وقوله: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا**﴾٧١، أما الخاتمة فكرر فيها ست مرات، يقول تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ** ﴿٧٧﴾ **وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴿٧٨﴾ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾٧٧-٧٩، وقوله: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ**﴾٨١، ففي هذه الآية كرر اللفظ (٣) مرات، مما أحدث تماسكاً وترابطاً على مستوى الآية الواحدة. وتكرار هذا اللفظ على امتداد السورة أفاد إقرار المعنى وتأكيده، بالإضافة إلى ما أحدثه التكرار من لَمِ الأفكار الجزئية ومنح ضمان الاستمرارية في بناء السورة.

وفي قصة أصحاب القرية تحقق التماسك من خلال تكرار لفظ (قوم) في خمس آيات، وذلك بتماسك خمس آيات متجاورات وغير متجاورات، ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ**﴾٦، ثم تكرر اللفظ في قوله ﴿**بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾١٩، وقوله ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾٢٠، ﴿**قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾٢٦، ثم جاء التكرار الأخير للفظ (قوم) في قوله: ﴿**مَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ**﴾٢٨.

هذه أهم ما كُرِرَ من الألفاظ في السورة، حيث كان تكرارها على مستوى كبير وواسع الانتشار، وما عداها فلا يتجاوز تكراره أربع مرات في مواضع غير متتابعة، مثل لفظ (آية) التي وردت في الجزء الذي يتحدث عن البعث والحساب والجزاء ثلاث مرات، وذلك في الآية: (٣٧،٤١،٤٦)، وكذلك لفظ (الجنة) الذي كرر مرتين في الآية (٢٦،٥٥)، وكرر قوله تعالى: ﴿**إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾ ثلاث مرات في مواضع مختلفة، هي الآية (٢٩، ٤٩، ٥٣)، وجملة ﴿**لا يؤمنون**﴾ كررت مرتين في مقدمة السورة في الآية (٧،١٠)، وكل هذه التكرارات حققت التماسك بين تلك الآيات.

٢- التضام:

يعد التضام من وسائل التماسك النصي المعجمي، وهو عبارة عن "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[١].

وعلاقات التضام أنواع، هي[٢]: التضاد، والتنافر، وعلاقة الجزء بالكل.

وهنا سأتناول التضام بالدارسة والتحليل؛ للكشف عن مدى فعاليته في تحقيق التماسك النصي للسورة.

- التحليل النصي لسورة يس من خلال عنصر التضام:

يلاحظ المتأمل للسورة حضور التضام وانتشاره على مستوى السورة، مما يثير سؤالًا عن دور هذا العنصر المعجمي في تحقيق التماسك النصي!

والجدول التالي يوضح لفظ التضام، ونوعه، ومكان وقوعه:

التضام	نوعه	رقم الآية
تنذر/ ما أنذر	تضاد	٦، ٩، ١١
أعناقهم/ أذقانهم	جزء من كل	٨
بين أيديهم/ خلفهم	تضاد	١٢
أنذرتهم/ لم تنذرهم	تضاد	٣٣
أيديهم	جزء من كل	٣٥
تحيي/ تميت	تضاد	٣٧، ٤٠
نخيل، أعناب	تنافر	٣٤
ميتة/ أحييناها	تضاد	٤٠
كفروا/ آمنوا	تضاد	٤٧
ليل/ نهار	تضاد	٥٢
أفواههم، أيديهم، أرجلهم	جزء من كل	٦٥
أعينهم	جزء من كل	٦٦
يسرون/ يعلنون	تضاد	٧٦
نطفة	جزء من كل	٧٧

١ لسانيات النص، ٢٥.

٢ ينظر: نحو النص، ١١٣.

التضام	نوعه	رقم الآية
سماوات / الأرض	تضاد	٧٩

بعد الرصد والتحليل تبين غلبة حضور التضاد، وانتشاره على امتداد السورة.

ففي مقدمة السورة يقابلنا التضام في قوله تعالى مخاطبا نبيه ﷺ: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾٦، فبين (تنذر، وما أنذر) تضام نوعه (تضاد) أحدث تماسكًا على مستوى الآية الواحدة، ثم يحدث التضاد في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾٩، وهذا التضاد جاء ليبيّن شدة صرف الكافرين المكذبين عن التصديق برسالة محمد ﷺ، بين أيديهم أي أمامهم، ثم يأتي التضاد ليبيّن قدرة الله ﷻ المطلقة في قوله: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى**﴾١٢، فهذا التضاد يجعل الآية متماسكة، مما ينتج عن تماسك الآيات تماسك السورة بشكل عام.

وفي الآيات التي تتحدث عن تسخير الله للآيات الكونية ظهر التضاد في أكثر من موضع؛ محدثًا تماسكًا على مستوى الآية الواحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وآية لهم الأرض الميْتَةُ أحييناها**﴾٣٣، وقوله: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**﴾٣٧، وقوله: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾٤٠، فهذا التضاد صنع تماسكًا نصيًّا بدلالاته المتناقضة.

ويظهر التضاد أيضًا في قوله: ﴿**قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾٤٧، وقوله: ﴿**إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾٧٦، وقوله: ﴿**أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾٨١، وهذا التضاد أسهم في تماسك النص بدلالته المتناقضة.

ومن ثم يأتي النوع الثاني من التضام، وهو (الجزء من كل) في المرتبة الثانية حضورًا بعد التضاد؛ ليسهم في تماسك السورة، يقول تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ**﴾٨، فالأعناق والأذقان جزء من الإنسان، وأكثر علاقات التضام (الجزء من الكل) الوارد في هذه السورة هي أجزاء من الإنسان، كما في قوله: ﴿**لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾٣٥، وقوله:﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ**﴾٦٦-٦٧، وقوله: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾٧٧ فالأيدي، والأفواه والأرجل والأعين، والنطفة، جزء من الإنسان، وهذه

العلاقة ساهمت في سبك الآيات القرآنية الواردة فيها، فهي تُعمل فكر المتلقي ليتدبر الآيات؛ كي يكتشف العلاقة بين الجمل والألفاظ، وبذلك يكون تحقق معيار السبك الذي يسهم في تماسك السورة.

وظهرت علاقة التنافر في موضع واحد في قوله:﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ**﴾٣٤، فالنخيل والأعناب يجمعهما أصل واحد "النبات".

وفي النهاية يلاحظ أنَّ التضاد هو الأكثر حضورًا في النص من بقية أنواع التضام الأخرى، وله دور كبير في سبك النص القرآني، حيث إنَّ التضاد في الآيات السابقة يعد الجهة الجامعة؛ سوغه أنَّ الشيء يحضر في الذهن عند حضور نقيضه، وهذا يمثل تماسكًا نصيًّا.

المبحث الثاني: الحبك ودوره في تماسك النص:

إذا كان السبك يشتغل في البناء النصي داخليًّا، فإنَّ الحبك يشتغل على مستوى الظروف الخارجية التي أنتجت النص.

ففي السبك: "لم نقدم سوى أمثلة قليلة من البنية السطحية للنصوص، إذ يبدو في الواقع أنَّ الخصائص الأكثر تمييزًا للنصوص توجد أساسًا في المستوى الدلالي وكذا المستوى التداولي"[1].

ويعد الحبك من أهم معايير النصية التي اشترطها اللغويون لوصف النص بالترابط والتماسك؛ لأنَّه يهيئ العلاقات المنطقية التي تجعل من الملفوظ نصًا مترابط الأفكار والمواضيع، ويقوم الحبك على علاقات داخلية وعناصر مقامية متعالقة يفهم من خلالها النص[2].

وفي هذا المبحث سأدرس الحبك من خلال علاقتي الدلالية والتداولية، متناولة بعض الآليات الهامة التي تحقق التماسك على المستوى الدلالي، وهي: العلاقات، وموضوع الخطاب، والبنية الدلالية الكبرى، وعلى المستوى التداولي فسأتناول: آلية السياق.

المطلب الأول: المستوى الدلالي:

١- العلاقات:

تتمثل أهمية العلاقات في تحقيقها الاستمرارية الدلالية للنص، ومن أهم العلاقات التي وردت في سورة (يس):

أ- علاقة التفصيل والإجمال:

والتفصيل والإجمال أسلوب بلاغي يأتي فيه الكلام ابتداء بإجمال واختصار، ثُمَّ يرد تفصيله وتبيينه؛ ليتقرر المعنى في النفس أكثر، وغالبًا ما يقرن بين الإجمال والتفصيل من أجل الحصول على المعنى والظفر بالمقصود.

ولعل هذا من المهام المركزية للترابط، حيث يتكفل الربط بين المجمل والتفصيل في لحم النص، وتبديد الإبهام الذي كان يحيط بالنص[3].

وفي السورة محور الدراسة ظهرت هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾٦، فهنا إجمال فُصّل مباشرة بقوله: ﴿**لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ**

١ النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص من نظرية الأدب في القرن العشرين، ٦٩.

٢ ينظر: النص والخطاب والإجراء، ١٠٣.

٣ ينظر: آليات الترابط النص القرآني، ٢٠٣.

لا يُؤْمِنُونَ﴾٧، وهذا تفصيل لحال القوم الذين أرسل محمد ﷺ لينذرهم، فهم قسمان: قسم لم تنفع فيهم النذارة، وقسم انتفعوا بالنذارة فآمنوا بالله[1].

وقال الله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾١٣، هذه الآية تضمنت إجمالًا لقصة أصحاب القرية إذ جاءتهم الرسل (الثلاثة)، وجاء تفصيل هذا الإجمال مباشرة في قوله: ﴿**فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ**﴾١٤، فقد ذكر الرسل (الثلاثة) إجمالًا في قوله: ﴿**إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾، ثم جاء تفصيل مرحلة إرسال الرسل، حيث إنَّ الله ﷻ أول ما أرسل الرسل لأصحاب القرية أرسل رسولين اثنين، فلما كُذبا عززهما الله برسول ثالث، فساهمت هذه العلاقة المعنوية غير اللفظية في تفعيل دور المتلقي لربط الآيات ربطًا منطقيًّا.

أيضًا يظهر التفصيل بعد الإجمال في قوله: ﴿**إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما**﴾١٤، إجمالًا لموقف أصحاب القرية من الرسل، وجاء تفصيله مباشرة: ﴿**قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾ ١٥–١٩، فهذا التفصيل حُقق من خلاله التماسك النصي؛ بفضل العلاقات القائمة مع القول المجمل، لأنَّ القول المجمل يضم معاني ومدلولات يجب أن تُفصل؛ حتى يتمكن المتلقي من فهم المقصود.

ويظهر الإجمال في قوله: ﴿**وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾٥٤، والذي فُصل مباشرة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**﴾٥٥، فهذه العلاقة نسجت رباطًا محكمًا بين آيتين متتاليتين، فأسهمت في تماسك السورة.

ثم يأتي قوله: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ**﴾٣٣، وهو إجمال لهذه الآية، فكأن المتلقي يتساءل ما وجه الإعجاز في الأرض الميتة؟ فيأتي تفصيله مباشرة في نفس الآية بقوله: ﴿**أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ تَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ**﴾ ٣٣–٣٤، فهذا التفصيل كشف عن إعجاز الله ﷻ وقدرته على الإحياء.

---

١ ينظر: التحرير والتنوير، ١٩٧/٢٢.

وفي قوله: ﴿**والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾٣٨، تفصيل لإجمال جملة ﴿**وآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ**﴾٣٧، وكان مقتضى الظاهر من كونه تفصيلًا ألا يعطف فيقال: الشمس تجري لمستقر لها، فخولف مقتضى الظاهر؛ لأنَّ في هذا التفصيل آية خاصة وهي آية سير الشمس والقمر[1].

ب- العلاقة السببية:

تساعد العلاقات السببية على ضم وحدات النص، فهو رابط منطقي يترتب فيه السبب عن المسبب[2]، وهي علاقة منطقية لكيفية تتابع القضايا.

وتبرز هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿**وجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾٢٠، فإنَّ سبب سعي الرجل الصالح هو بغيته نصح قومه ووعظهم بعبادة الله ﷻ، والسبب والمتسبب متلازمان منطقيًّا دون أداة، وهذه العلاقة ربطت بين الآيتين ربطًا معنويًّا، مما ساهم في حبك السورة وتماسكها.

وفي قوله تعالى: ﴿**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾٢٦، علاقة سببية، حيث إنَّ سبب دخول الرجل الصالح الجنة هو قوله السابق: ﴿**إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ**﴾٢٥، فيلاحظ ربط الآيتين المتعاقبتين بعضهما في بعض حتى غدت كأنهما آية واحدة.

ويعد الربط بين الجمل بهذه الصورة أقوى من الربط بالأدوات الظاهرة على سطح النصح؛ إذ يدرك المتلقي العلاقة بين جمل النص عن طريق الدلالة السببية.

وسبب التسبيح في قوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ**﴾٣٦، عائد على ذكر إحياء الأرض وإخراج الحب والشجر منها في قوله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ**﴾ ٣٣-٣٥، فإنَّ ذلك تحوّل وإبداع عجيب يّذكِّرُ بتعظيم مودع تلك الصنائع بحكمته[3]، فعلاقة السبب بالنتيجة عملت على تعلق الآيات بعضها ببعض.

---

١ ينظر: التحرير والتنوير، ٢٢/٢٢٩.

٢ ينظر: علم اللغة النصي،٢/ ١٤٩.

٣ ينظر: التحرير والتنوير،٢٢/ ٢٢٦.

ج- علاقة التعليل:

تعد من أهم علاقات الحبك النصي، وتكمن فائدتها في التقرير والإبلاغ؛ لأنَّ "النفوس تتبعث إلى نقل الأحكام المعللة بخلاف غيرها، وغالب تعليل القرآن الكريم فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى، وهو سؤال عن العلة"[1].

وتظهر العلاقة التعليلية في قوله: ﴿**تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾٥، فكأن السامع يسأل عن سبب تنزيل القرآن الكريم، فجاء قوله: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فهم غافلون**﴾٦، فاللام في (لتنذر) متعلقة بـ (تنزيل) وهي لام التعليل، تعليلًا لإنزال القرآن[2]. فالآيات مترابطة ترابط علة، الأمر الذي حقق استمرارية الدلالة بينها، بالإضافة للام التعليل التي ساهمت في صنع التماسك على مستوى سطح النص الظاهر.

وما جاء من الآيات بعد قوله: ﴿**لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴿٧﴾ **إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ** ﴿٨﴾ **وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ** ﴿٩﴾﴾ ٧-٩، إنّما هو كالتعليل والتدليل على عدم إيمان هؤلاء الكافرين، فكأنّ سائلًا سأل: لماذا حُرموا من نعمة الإيمان، وحَقّ عليهم العذاب؟ فكان الجواب لأنّهم حجبوا عن أنفسهم بأنفسهم دلائل الحقّ، فكان حالهم كحال السجين المغلول اليدين والرأس، وقد اجتمع عليه مع ذلك الحبس في مكان ضيّق بين سدّين وجدارين: سدّ أمامه، وسدّ خلفه، فأنّى له المخرج من ذلك؟[3].

وجاء قوله: ﴿**إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ**﴾ ٢٣، استئناف سيق لتعليل النفي في قوله: ﴿**أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً**﴾٢٣.

وفي قوله: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ**﴾٢٨، إذن كيف كان عقابهم؟ ﴿**إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ**﴾٢٩، فهذه العلاقة ربطت آيتين متعاقبتين، مما أسهم في تماسك آيات السورة.

وقال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ** ﴿٣٤﴾ **لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ**﴾ ٣٤-٣٥، في الآية تعليل لسبب خلق

---

١ ينظر: البرهان في علوم القرآن، ٣/ ٣٠٤.

٢ ينظر: التحرير والتنوير، ١٩٧/٢٢.

٣ ينظر: القول المبين في تفسير سورة يس، ٢٤.

الله ﷻ للنخيل والأعناب؛ وذلك من أجل أن يأكل منها الإنسان، وهذا التعليل ساهم في ربط الآيتين بعضهما في بعض.

وتظهر العلاقة التعليلية في قوله: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾٦٠، فهذه الآية ضمت جملتين مترابطتين برباط التعليل، حيث نهاهم الله عن عبادة الشيطان؛ لأنَّه عدو للأنس أجمعين.

وقوله: ﴿**إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾٧٦، تعليلًا للنهي الصريح الذي تقدمها وهو قوله: ﴿**فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ**﴾٧٦، وهذه العلاقة القائمة في الآية ربطت بين جملتي الآية الواحدة برباط غير ملحوظ، إنما هو رباط معنوي يلحظه القارئ الفطن.

٢- موضوع الخطاب:

يعد موضوع الخطاب آلية من آليات الحبك النصي، فعن طريقه يتماسك النص كله، حيث إنَّ المواضيع الجزئية المشكلة له تجتمع لتؤدي في النتيجة إلى موضوع أساسي يدور حوله الخطاب.

فموضوع الخطاب هو ما يدور حوله الخطاب، أو ما يقوله، أو ما يقدمه للقارئ، فما يتذكره القارئ حول النص بعد قراءته من عناصر وأفكار هي ما تمثل موضوع الخطاب[١].

فعملية الإحاطة بموضوع الخطاب تتطلب تقسيمه إلى أجزاء صغرى تستقل بعضها عن بعض بموضوعها الخاص.

وبالعودة إلى السورة موضوع الدراسة، فإنَّ السورة مكونة من (٨٣) آية، موزعة على خمسة أجزاء، هي: المقدمة، وقصة أصحاب القرية المكذبين، وتسخير الله ﷻ آياته للبشر، والبعث والحساب والجزاء، وأخيرًا الخاتمة. وكل وحدة منها تتناول موضوعًا جزئيًّا مستقلًا، إلا أنَّ التأمل والإنعام في هذه الموضوعات يوضح أنَّها تتماسك فيما بينها لتشكل وحدة كلية.

فمقدّمة السورة (من الآية:١ إلى١٢) ترتبط ارتباطًا كبيرًا بموضوع السورة ومقصدها الكلي: حيث قرَّر الله ﷻ مصْدريّة القرآن الكريم أنّه من عنده تعالى باستخدام أسلوب القسم به على صدق النبيّ ﷺ فيما جاء به عن ربّه، لينذر به قومه، ثم أخبر الله ﷻ بأنَّ الرسول ﷺ قد لقي من قومه التكذيب والإعراض، ثم تؤكد المقدمة أيضًا على

١ ينظر: علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، ١٩١.

قضية البعث والحساب والجزاء، فموضوعها الجزئي الذي يمكن أن يطلق عليها هو (حقائق الإيمان).

ثمّ يأتي الجزء الثاني من السورة (من الآية: ١٣ إلى٣٢)، التي يمكن أن يطلق عليها (تكذيب أصحاب القرية بالرسل)؛ فهي تتناول مثلًا من حال الغابرين (أصحاب القرية)، وموقفهم من رسلهم، وموقفهم من الرجل الصالح، وكيف كانت عاقبتهم، التي ينبغي لأهل مكّة خاصّة أن يعتبروا بها، ويحذروا أن يصيبهم ما أصاب أولئك الأوّلين، وهم يقفون مواقفهم نفسها من التكذيب والمعاندة.

وينتقل الحديث في الجزء الثالث من السورة (من الآية:٣٣ إلى ٤٧): إلى تقديم طرف من آيات القدرة والإبداع التي سُخرت للبشر، وهذ الآيات تتراءى في كلّ زاوية من زوايا الكون وصفحاته، وهي تدلّ على أنّ قدرة الله تعالى لا يعجزها شيء، ومن صور تجلّى قدرته سبحانه: البعث بعد الموت، ومع وضوح هذه الأدلّة والبراهين على البعث والحشر فإنَّ الكافرين يعاندون الحقّ ويكابرون، فالموضوع الجزئي الذي يمكن أن يطلق على هذا الجزء هو (الآيات المسخرة للبشر).

وفي الوحدة الرابعة (من الآية:٤ إلى ٦٨): نجد أنَّ موضوع الخطاب الرئيس هو (البعث والحساب والجزاء)؛ حيث استعرضت الآيات حال الكافرين يوم القيامة بعد تكذيبهم ليوم البعث، وبيّنت قدرة الله ﷻ على بعث الموتى من القبور لمجازاتهم على ما قدموا، ثم تذكر ما لقيه المؤمنون من جزاء ونعيم، وما لقيه الكافرون جراء اتباعهم الشيطان وتكذيبهم للرسل.

وفي الخاتمة (من الآية: ٦٩ إلى٨٣): حوت جميع الموضوعات السابقة فهي تؤكد تكليف الرسول ﷺ بالرسالة وإنزال القرآن الكريم عليه، وخلق الله للأنعام وتسخيرها للبشر، وعاقبة الشرك بالله، وتؤكد أيضًا قدرة الله الخالق على بعث خلقه، فهو خالق الكون بيده كل شيء، فموضوعها هو (تأكيد حقائق الإيمان).

فهذه المواضيع الجزئية ظهر أنَّ مدار الحديث فيها عن (إرسال الرسول ﷺ، وإنكار المكذبين بالبعث)، مما يتضح الموضوع العام للسورة وهو: (إثبات الرسالة ودليلِها، وتقديمُ براهين البعث والحساب بعد الموت وبعض بيّناته)، وهي الأصول الثلاثة من أصول الإيمان وأركانه التي تتحدّث عنها السورة.

وهكذا يُلحظ انتظام موضوع السورة العامّ خلال آيَات السورة كلّها، وتَدرّج موضوعاته الرئِيسة، بصورة تحقّق التماسك النصي للسورة، فكل وحدة تتناول موضوعًا جزئيًّا يتعلق بالموضوع الرئيس؛ مما أنتج نصًا متماسكًا، والمتلقي الحذق هو من يكتشف الرابط الدلالي بين وحدات السورة وبين موضوعها الرئيس.

٣- البنية الدلالية الكبرى.

البنية الدلالية الكبرى هي بنية "مجردة تُقارَب بموضوع الخطاب"[١]، وتتركب من قضايا، كأي بنية دلالية.

وترتبط البنية الكبرى بالقضايا المعبر عنها في جمل النص عن طريق ما يدعى بالقواعد الكبرى، وهي التي تحدد ما هو جوهري من محتوى نص ما.

ومن أجل تحديد البنية الكبرى للسورة لا بُدَّ من تلخيص القضايا الواردة في الآيات، من خلال المحاور التي تطرقت إليها.

فالسورة تطرقت لثلاثة محاور رئيسة، هي:

المحور الأول (من آية ١إلى ٣٢): وتظهر قضية تكذيب الكافرين بأنَّ محمدًا ﷺ مرسل إليهم من عند الله بشكل بارز في هذا المحور، وهي المعلومة الأساس التي من أجلها أقسم الله ﷻ بالقرآن على إرسال محمد ﷺ في قوله: ﴿**وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ ٢-٣.

وفي قوله: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ**﴾١٣-١٤، إلى الآية ٣٢ تتحدث هذه القصة عن تكذيب أصحاب القرية بالمرسلين، وذلك تشبيهًا لحال أصحاب القرية مع رسلهم بحال كفار قريش الذين كذبوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وتحدثت عن قصة الرجل الصالح مع قومه، وعن جزاء المصدقين والمكذبين بالرسل وما بعثوا به يوم القيامة.

إذن فالمعلومة الأساس في هذا المحور هي: (تكذيب الكافرين بالرسول محمد ﷺ)، ولقد جاءت عدة جمل تشير إلى ذلك هي: (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا، يا قوم اتبعوا المرسلين، ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون).

---

١ لسانيات النص، ٢٨٣.

أما المحور الثاني (من آية ٣٣إلى ٤٧) فركز على آيات الله الدالة على وحدانيته، التي من أجلها بعث الله محمد ﷺ ومن قبله من الرسل إلى أقوامهم لدعوتهم إلى توحيد الله ﷻ في العبادة.

وهذه الآيات المتنوعة في الأرض والسماء والبحر لم تكن لتنير قلوب الكافرين بالإيمان؛ لما في أنفسهم من الكبر والعناد، وهذا ما أكدته الآية الأخيرة من هذا المحور في قوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾٤٧.

إذن فموقف الكافرين من هذه الآيات هو الكفر والتكذيب وذلك ظاهر في قوله: ﴿**وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾٤٦، ففي هذا المحور يمكن تعميم كل القضايا تحت قضية واحدة هي (تكذيب الكافرين بآيات الله).

وفي المحور الثالث والأخير (من آية ٤٨ إلى ٨٣) تحدثت الآيات عن إنكار الكافرين ليوم القيامة وما فيه من بعث ونشور إلى الحساب، ومن ثَمَّ صورت حال المؤمنين في الجنة هم وأزواجهم، والنعيم الذي تشتهي أنفسهم، ثم تحدثت الآيات عن جزاء الكافرين المكذبين يوم القيامة، وما بعدها من الآيات جاء تأكيدًا للمحاور السابقة.

فالقضية الأساس التي يتحدث عنها هذا المحور هي تكذيب الكافرين بالبعث والجزاء والحساب، وذلك ظاهر في قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾٤٨، وبهذا يمكننا أن نعمم هذه قضية على ما سواها من القضايا التي تندرج تحتها.

وعليه فسورة (يس) تنطلق من ثلاثة محاور تتعلق بالكافرين المكذبين ضمنت للنص تماسكه وحسن حبكه، وهي:

تكذيبهم بمحمد ﷺ، وكفرهم بآيات الله ﷻ، وإنكارهم للبعث والجزاء والحساب. وإنَّ تمحور النص بين هذه المحاور ضمن له الحبك؛ نظرًا للعلاقات المتداخلة بينها.

المطلب الثاني: المستوى التداولي:

يدرس المستوى التداولي العلاقات بين النص والسياق من خلال نظرة عميقة لبنية السياق خاصة.

- السياق:

يعد السياق ركنًا أساسيًّا في إنتاج النص وفي فهمه، وعلى محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما في الخطاب[1].

ويتشكل السياق من[2]: المتكلم، والمخاطب، والرسالة، والزمان، والمكان، ونوع الرسالة.

وفي هذا المطلب سأبحث عن سياق السورة، ودوره في الفهم والتفسير، وحبك النص.

عناصر السياق في السورة:

١- **المُرسِل:** وهو "المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول"[3]. وبما أنَّ النص موضوع الدراسة سورة قرآنية هي (سورة يس)، فالمرسل قطعًا هو الله ﷻ، الذي نزه ذاته سبحانه في هذه السورة، منها قوله: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾٨٣.

٢- **المخاطب:** هو المرسل إليه، أو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول[4]، وهنا المخاطب مباشرة هو أشرف الخلق وسيد المرسلين نبينا محمد ﷺ، وقد تكررت الآيات التي يكون الخطاب فيها موجهًا له ﷺ، منها ما يقول الله تعالى مخاطبًا نبيه في أول السورة: ﴿**إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ والقرآن**﴾٣، وهذ الخطاب جاء نتيجة تكذيب قريش لمحمد ﷺ، ومن الألفاظ الدالة على توجه الخطاب للرسول ﷺ في السورة: (تنذر، أأنذرتهم، فبشره، واذكر، ولا يحزنك)، وغيرها.

كما لا يخفى أنَّ القرآن الكريم مرسل لكافة الناس، فهو خطاب عام لجميع البشر، أُنزل لهداية الناس، يقول الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ البقرة ١٨٥، وفي هذه السورة ذكر الله قصة أصحاب القرية التي شُبهت حالهم بحال كفار قريش المكذبين بمحمد ﷺ، حتى يتعظوا بهم، وسيقت لهم الحجج والبراهين التي تدل على وحدانيته لعلها تنفعهم فيؤمنوا به.

---

١ تحليل الخطاب، ٣٥.

٢ السابق.

٣ السابق، ٥٣.

٤ينظر: تحليل الخطاب، ٥٣

٣- **الرسالة:** وهي مدار الحدث الكلامي ومحتواه[١]، وهي هنا محتوى ومضمون سورة (يس) الذي يصل إلى المخاطب، وهذه السورة تحمل رسالة حية؛ لأنَّها تملك مقومات لغوية ودلالية وتداولية أحدثت عملية التواصل؛ ولأنَّها تتناول موضوعًا مهمًا وقضية جوهرية، وهي حقيقة الإيمان، فالسورة تشتمل على (٨٣) آية موزعة على خمسة أجزاء، وكل جزء يؤدي غرضًا مقصودًا، وتخللت السورة قصة أصحاب القرية، قال تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾١٣، وتخللت سوق الحجج والبراهين الدالة على وحدانية الله إلى الكافرين المكذبين بالله، منها قوله:﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**﴾ ٣٧، فوظفت الجمل والآيات حتى تنسجم مع موضوع السورة.

ومع تنوع موضوعات السورة بقيت السورة متماسكة، لتكون تلك الموضوعات كمتتاليات تصب في موضوع واحد وهو: التركيز على قضايا العقيدة الخاصة بتكذيب الرسل، والوحي وإنكار البعث، وما يترتب على ذلك في الآخرة.

٤- **المكان والزمان:** تعد سورة (يس) من السور المكية التي نزلت على الرسول ﷺ في مكة المكرمة[٢]، وبما أنَّ السورة مكية فهي في الغالب -والعلم عند الله- نزلت على رسول الله ﷺ في مكة قبل الهجرة إلى المدينة.

وما يدلل على مكية السورة هي: قصر آياتها، وتناولها لموضوع العقيدة، وذكر قصة أصحاب القرية، ومحاجاة الكافرين، إذ إنَّ هذه الصفات هي ما تتميز به السور المكية عن السور المدينة.

وختامًا فإنَّ معرفة القارئ لسياق هذه السورة يعينه على فهمها وعلى الاستمرارية، كما يعينه على ربط ما توصل إليه من نتائج ودلالات بما ذُكر في السورة، وبذلك يتضح له مضمون السورة ويكشف حبكه وتماسكه، فدور السياق في تحديد معنى النص دور بارز، وبانعدامه يفقد النص نصيته.

١ ينظر: لسانيات النص، ٣٥.

٢ ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ٢٩٤.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة السبك والحبك في سورة (يس)، وسلطت الضوء على أبرز ملامح آليات التماسك النصي فيهما، وذلك من خلال الدراسة التطبيقية للسورة. ولعل كثيرًا من النتائج قد تضمنها العرض الموجز، ومع ذلك فيمكن إبراز أهم النتائج التي انتهى إليها هذا البحث في الآتي:

١- يعد السبك والحبك أهم المعايير النصية السبعة التي تميز النص على اللانص.

٢- أبرزت الدراسة عناصر السبك النصي، ودورها في تماسك السورة، وما تسهم به في إدراك العلاقات القائمة بين الجمل والعبارات المكونة للسورة، حيث تنوعت أدوات السبك في السورة ما بين أدوات نحوية، وأخرى معجمية.

٣- أوضحت الدراسة أنَّ أكثر أدوات السبك النحوي حضورًا في السورة هي: الإحالات الضميرية العائدة على سابق، والتي تحيل إلى (الله، وإلى المكذبين بحقائق الإيمان).

٤- بيّنت الدراسة أنَّ وسائل السبك تقتصر على العناصر الظاهرة على سطح النص، بينما الحبك يقوم على العناصر الخفية، والمعاني العميقة، ويرتبط هذان المعياران بالنص مباشرة، ويسهمان بشكل كبير في تماسك النص.

٥- ساهمت الآليات الدلالية: موضوع الخطاب، والعلاقات، والبنية الدلالية الكبرى للنص في عملية الحبك النصي للسورة، حيث شكلت تمظهرات نصية واضحة.

٦- كشفت الدراسة انتظام موضوع السورة العامّ خلال آيَات السورة كلّها، وتَدرّج موضوعاته الرئِيسة، بصورة تحقّق التماسك النصي للسورة، فكل وحدة تتناول موضوعًا جزئيًّا يتعلق بالموضوع الرئيس؛ مما أنتج نصًا متماسكًا.

٧- وضحت الدراسة أهمية آلية المستوى التداولي (السياق) في الفهم الصحيح للنص، كما يعينه على ربط ما توصل إليه من نتائج ودلالات بما ذُكر فيها، وبذلك يتضح له مضمون السورة، فدور السياق في تحديد معنى النص دور بارز، وبانعدامه يفقد النص نصيته.

وفي الأخير لا أدعي أنّني أحطت بكل العناصر والظواهر النصية، بل حاولت جاهدة أن أحصيها ما استطعت، أسأل الله التوفيق والسداد.

وأخيرًا فإنَّ السبك والحبك في سور القرآن ما يزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات النقدية.

وأرى أنَّ تشجيع النقاد على دراسة السور القرآنية دراسة تطبيقية تنطلق من خـــلال جميع المعايير النصية التي لم يتسع المجال لتناولها في هذه الدراسة يسهم في خدمة النقــد وثراء مكتبته.

وبعد؛ فهذا جهد مُقل، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطــأ فمن نفسي والشيطان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجـــع:

١. آليات الترابط النص القرآني، رشيد برقان، دار أفريقيا الشرق–المغرب، ٢٠١٥م، د–ط.

٢. البحر المحيط، لمحمد أبي يحيى الأندلسي، ترجمة: عادل الموجود، وعلـــي معـــوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م، ط٢.

٣. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين الزركشي، ترجمة: محمد أبو الفضل إبـــراهيم، المكتبة العصرية–بيروت، ٢٠١٢م، ط٢.

٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ–بيروت، د–ت، ط١.

٥. التفسير الكبير، للأم فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية–بيروت، ٢٠٠٤م، د–ط.

٦. التفسير الموضوعي لسور القران الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلـــوم القـــرآن، إشراف: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م، د–ط.

٧. تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة: محمد الزليطيو منيـــر التريكـــي، النـــشر العلمـــي والمطابع–جامعة الملك سعود–الرياض، ١٩٩٧م، ط١.

٨. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف حلبي، ترجمة: أحمد الخراط، دار القلم–دمشق، د–ت، د–ط.

٩. روح المعاني، محمود شكري الألوسي، المكتبة التوقيفية–القاهرة، د–ت، د–ط.

١٠. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحي بن حمزة العلوي اليمنـــي، ترجمة: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية–بيروت، د–ت، د–ط.

١١. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، طاهر سليمان حمودة، الـــدار الجامعيـــة–الإســـكندرية، ١٩٩٨م، د–ط.

١٢. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق "دراسة تطبيقية على السور المكية" صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء–القاهرة، ٢٠٠٠م، ط١.

١٣. علم النص "مدخل متداخل الاختصاصات"، تون فان دايك، ت. سعيد حـــسن بحيـــري، دار القاهرة للكتاب–القاهرة، ٢٠٠١م، ط١.

١٤. علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب–القـــاهرة، ٢٠٠٩م، ط٢.

١٥. علم لغة النص والأسلوب بين النظروالتطبيق، نادية رمضان النجـــار، مؤســـسة حـــورس الدولية، الإسكندرية، ٢٠١٣م.

١٦. القول المبين في تفسير سورة يس، عبد المجيد البيانوني، جدة، ٢٠٠١م، د–ط.
١٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة–بيروت، ٢٠٠٩م، ط٣.
١٨. لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي–بيروت، ١٩٩١م، ط١.
١٩. مدخل إلى علم لغة النص "تطبيقات لنظرية روبرت دي بو قراند، وفولفانج دريسلر"، إلهام أبو غزالة، وعلي خليل أحمد، دار الكتاب–القاهرة، ١٩٩٢م، ط١.
٢٠. نحو النص"اتجاه جديد في الدرس النحوي"، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق–القاهرة، د–ت، ط١.
٢١. النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص من نظرية الأدب في القرن العشرين، فان دايك، ترجمة: محمد العمري، إفريقيا الشرق–الدار البيضاء، ١٩٩٧م، د–ط.
٢٢. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوقراند، ترجمة: تمام إحسان، عالم الكتب–القاهرة، ١٩٩٩م، ط١.

المجلات:

١. إسهام التضام في تماسك النص الشعري القديم "معلقة طرفة بن العبد أنموذجًا"، (مجلة الأثر)، صالح حوحو، ع ٢٣، ٢٠١٥م.

الرسائل:

١. أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، جامعة الكوفة، ٢٠١٢م (رسالة ماجستير).